

الفصل السادس

الولاية •• والمعجزة والكرامة

● الولي : هو العبد الصالح المتحلى بهدى النبي ﷺ ، والذي يعمل بأحكام الشريعة المطهرة •• وينادب بأدابها فى اعتقاده وقوله وعمله •• فيعمل بما أمر الله به ، وينتهى عما نهى الله عنه •• ويوالى الله تعالى بالمراقبة والعبادة ، فيواليه تعالى بالرعاية والحيطة ••

يقول تعالى : « ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون • الذين آمنوا وكانوا يتقون • لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ، ذلك هو النور العظيم » (١) •

فأولياء الله تعالى وأنصاره وأحبابه •• لا خوف عليهم فى الآخرة ، ولا يحزنون على ما فاتهم من الدنيا •• لأنهم صدقوا الله ورسوله ، وانتقوا ربهم بأداء فرائضه واجتناب معاصيه •• فاستحقوا من الله البشارة فى الدنيا بالرؤيا الصالحة •• وتبشير الملائكة لهم عند قبض أرواحهم برحمة الله ورضوانه ، وتبشيرهم نيم فى قبورهم حيث يبشرون برضوان الله عند سؤال الملكين لهم •• كما ينعمون بالجنة التى أعدها الله لهم •• وهذا هو النور العظيم •• إذ لا خلف لوعده الله ولا تغيير ••

فالولي — والله أعلم — هو المؤمن المتقى لله ، فكل مؤمن تقى هو ولي لله تعالى •• وفى الحديث : « ان من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله » •• قالوا : يارسول الله ، أخبرنا من هم وما أعمالهم ؟ قال : « هم قوم تحابوا فى الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها •• فوالله ان وجوههم لنور ، وانهم لعلى نور •• لا يخافون اذا خاف

الناس ، ولا يحزنون اذا حزن الناس » .. ثم قرأ الآية : « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٢) .
وللولى - كما يقول القشيري (٣) - معنيان : أحدهما (فعيل)
بمعنى (مفعول) وهو من يتولى الله سبحانه أمره . قال تعالى :
« وهو يتولى الصالحين » (٤) ..

والثانى : (فعيل) مبالغة من (الفاعل) .. وهو الذى يتولى عبادة الله تعالى وطاعته .. فعبادته تجرى على المتوالى من غير أن يتخللها عصيان ..

وكلا الوصفين واجب .. وحتى يكون الولى وليا يجب قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والاستيلاء .. ودوام حفظ الله تعالى اياه فى السراء والضراء ..

ومن شرط الولى .. أن يكون محفوظا .. كما أن من شرط النبى أن يكون معصوما .. فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخدوع ..

روى سعيد بن جبير - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ سئل : من أولياء الله ؟ فقال : « الذين يذكر الله برؤيتهم » ..
ووصفهم على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال : « أولياء الله قوم صفر الوجوه من السهر .. عمش العيون من العبر .. خمص البطون من الجوع .. يبس الشفاه من الذوى » (٥) .
فالعبد متى كان مخلصا لله تعالى ، عاملا بدينه ، وداعيا الى العمل بالشرع .. فهو الولى .. فلقد حدد الله تعالى صفات الأولياء بأنهم : « الذين آمنوا وكانوا يتقون » .. ووصفهم فى الحديث القدسى بأنهم انما وصلوا الى مكانتهم عند الله تعالى بأداء الفرائض والاكتثار من النوافل ..

(٢) انظر : تفسير الطبرى ج ١١ ، ص ١٣٢

(٣) فى الرسالة القشيرية ص ١١٧

(٥) أى الذبول .

(٤) الأعراف : ١٩٦

وفسر معنى التقوى المطلوبة .. بأنهم أخضعوا جوارحهم كلها
من أعين وأرجل وأفئدة وألسن لله تعالى .. فلا يبصرون ولا يسمعون
ولا يمشون ولا يفكرون ولا يتكلمون .. الا فيما يرضيه تعالى ويتفق
مع شرعه وهده ..

ولهذا فهو سبحانه يتكلم بهم ، ويتوعد من يقدم على ايذائهم —
بأى نوع من الأذى — بأنه قد استحل محاربة الله تعالى وعرض
نفسه اهذه المحاربة .

يقول تعالى فى الحديث القدسى : « من آذى لى وليا فقد استحل
محاربتى ، وما تقرب الى عبدى بمثل أداء الفرائض .. وما يزال عبدى
يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه .. فاذا أحببته كنت عينه التى يبصر
بها ، وأذنه التى يسمع بها ، ورجله التى يمشى بها ، وفؤاده الذى
يعقل به ، ولسانه الذى يتكلم به .. ان سألنى أعطيته ، وان دعانى
أجبتة » (٦) .

فالمؤمن المتقى لله .. انما يتقرب الى ربه بأداء الفرائض التى
أفترضها عليه .. ولا يزال يتقرب الى الله بالنوافل حتى يحبه الله
تعالى .. فاذا ما أحبه الله عصمه من الفتن ونجاه من كيد الشيطان ..
فلا تبصر عينه الا ما يرضى الله .. ولا يستمع الا لما يحبه الله ..
ولا يمشى الا فى طاعة الله .. ولا يشغل عقله الا طاعة الله ..
ولا يتكلم لسانه الا فى مرضاة الله ..

ولهذا .. فان العبد المتقى لربه .. اذا سأله أعطاه ، واذا دعاه
أجابه .. يسأله من يسأله ويعادى من يعاديه .. فهو فى حفظ من
الله تعالى فى الدنيا والآخرة ..

يقول البخارى فى رواية له عن أبى هريرة رضى الله عنه :
« من أهان لى وليا فقد بارزته بالمحاربة » ..

(٦) رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى وأبو نعيم وابن عساکر عن
عائشة رضى الله عنها ..

ويقول الحسن البصرى : ابن آدم .. هل لك بمحاربة الله من
طاقة ؟ .. فان من عصى الله فقد حاربه ، وكلما كان الذنب أقبح كانت
المحاربة لله أشد ..

ولهذا سمي الله تعالى أكلة الربا وقطاع الطريق محاربين لله
تعالى ورسوله ، اعظم ظلمهم لعباده ، وسعيهم بالفساد فى بلاده ..
وكذا معاداة أوليائه ، فانه تعالى يتولى نصره أوليائه ويحبهم
ويؤيدهم .. فمن عاداهم فقد عادى الله وحاربه ، وتعرض لهلاك
نفسه ..

وروى الترمذى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الله الله فى
أصحابى .. لا تتخذوهم غرضاً ، فمن آذاهم فقد آذانى ، ومن آذانى
فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه » .
ويقول فضيلة الشيخ عبد اللطيف مشتهرى^(٧) : ان الولى هو
« من آمن بالله واتقى .. ولما كان الايمان والتقوى درجات ..
كانت الولاية تختلف باختلاف عمل صاحبها .. والله تعالى يقول :
« ولكل درجات مما عملوا » (٨) .

ودليل أن الولى هو من آمن واتقى هو قوله تعالى : « ألا أن أولياء
الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون » (٩) .
ولا يشترط فى الولى كرامة ، وانما يشترط فيه الاستقامة ..
وهناك فرق بين الكرامة والاستقامة .. بل كلما زادت الولاية كلما
ستر الله كرامات صاحبها حتى لا يفتن بنفسه ، أو يفتتن الناس به ..
وهناك لله أولياء مستورون عن الناس .. بل ان هناك أولياء ستروا
عن أنفسهم .. حتى أن أبا بكر - رضى الله عنه - اذا حسبت كراماته
من يوم أن أسلم انى أن مات فلن تجد له عشر معشار ما ينسبه الضالون
الى الجهولين ..

(٧) الرئيس العام للجمعيات الشرعية فى مصر ..

(٨) الأنعام : ١٢٢ ، الأحقاف : ١٩

(٩) يونس : ٦٢ ، ٦٣

اذن .. لا يشترط في الولي الكرامة .. والعلماء قالوا : ان الولي الحقيقي يستحي من ظهور الكرامة كما تستحي البنت من ظهور حيضها .. ولا بد من العلم أنه لا يوجد في الدنيا ولي حقيقي تهدر على يده أوامر الشرع .. فلا بد لشرع الله أن يحترم .. وليس هناك دين في الباطن ودين في الظاهر .. ومن يقول هذا فهو يتهم الله ورسوله .. فالخلاصة - اذن - أن الولي من جمع بين الايمان والتقوى ، ولا يشترط فيه الكرامة ، بل يشترط فيه الاستقامة ..

وقد تقع منه المعصية .. ولكن يستحيل في حقه استمرار المعصية ، والفرق بينه وبين النبي أن النبي معصوم ، والولي محفوظ .. ولا يحق لنا أن نطلق كلمة الولاية على أحد الا ببرهان من الله .. ومعنى كلمة ولي .. أن الله تولاه بالتوفيق لتوليه هو أوامر الله بالعمل والتنفيذ ..

اذن .. الولاية متبادلة ، فمن لا يتولى الله فان الله لا يتولاه .. ومن لم يرض عن الله لا يرضى الله عنه - أى لا يرضى عن شرائع الله ، فلا يرضى الله عنه ..

وهناك فرق بين الولاية والأولياء .. فكل مؤمن متق له حظ من الولاية على قدر ايمانه وتقواه .. ولما كانت أسرار الناس بينهم وبين الله تعالى ولا نعلم حقيقتها فلندع هذا الأمر يتولاه هو .. فنقبل الظاهر ونكل السرائر لله .. فلا نقرر أن فلانا ولي ، ولكن يمكن أن نقول : أحسبه عند الله صالحا ولا نزكى على الله أحدا ..

لأن أى انسان مهما كان تقيا نقيا .. لا تستطيع أن تجزم أنت بما مات عليه .. بدليل أن أم حارثة - وقد استشهد ابنها - قالت وهي تقاب جثته وتصبر قلبها المحترق : هنيئاً لك .. عصفور من عصفير الجنة .. فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال : « من هذه المتألية على الله » ؟ .. فقيل : أمه .. فقال : « يا أم حارثة ، انى لأرجو لابنك الخير .. ولكن أنا رسول الله ولا أدري ما يفعل بى » !! .. ثم قال : « لعله كان يتكلم بما لا يعنيه .. أو يمنع ما لا ينفعه » ..

وفى ذلك يقول الله تعالى : « قل ما كنت بدءاً من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ، ان أتبع الا ما يوحى الى » (١٠) .

وقيل مرة لابن عمر : ما دمت حيا فالاسلام بخير .. فقال :
« ويلك يا هذا ، أتدري علام أغلق باب بيتي » ؟

فلا يصح منا أن نقول ان فلانا ولى الا بنص قرآنى ، أو بحديث لرسول الله ﷺ ، مثل السيدة مريم ، ومؤمن آل فرعون ، وأصحاب الكهف ، والحسن والحسين رضى الله عنهم ..
أما غير ذلك .. فيعتبر تألياً على الله ، والوصف بالولاية شيء ، والاستعانة بها من دون الناس شيء آخر ، فهذا شرك .. بل رسل الله - وهم أشرف الخلق - لا يصح الاستعانة بهم رغبة أو رهبة « (١١) » ..

* * *

● والمعجزة فى أصل معناها اللغوى - مشتقة من العجز ، وهو عدم القدرة على أمر من الأمور .. ويطلقها علماء الشريعة على الأمر الخارق للعادة الذى يظهره الله تعالى على يد نبي مرسل ، لتقوم دليلاً على صدق دعوته .. وبرهانا على حقيقة رسالته ..

ولقد جرت سنة الله - سبحانه - أن يؤيد كل رسول من رسله بمعجزة خارقة للعادة ، وخارجة عن حدود المألوف للناس ، حتى يحمل المعاندين المكابرين على الايمان بهم ، والاذعان لهم ، والتسليم بكل ما جاءوا به من هداية وارشاد ..

كان النبي يبعث فى قومه فيصدع بالدعوة الى الله ، فيستجيب له من شرح الله صدره لدعوته ، ويكذب به من جعلوا أصابعهم فى آذانهم حتى لا يسمعوا صيحة اسماء التى تنادى عليهم : أن هبوا من رقدتكم ، وأفيقوا من غفلتكم .. وتحرروا من قيود شهواتكم وأهوائكم ..

(١٠) الأحقاف : ٩

(١١) هذه دعوتنا ، للشيخ عبد اللطيف مشتهرى ، ط الاعتصام ،

ص ٢٥٢ - ٢٥٤ بتصرف ..

ويتماذى المكذبون فى المكابرة والعناد .. فاذا بهم يرمون أنبيائهم
— بعد الكذب — بالسحر تارة ، وبالجنون أخرى (١٢) ..

« قالوا كل ذلك وأكثر منه فى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ..
وطالبوهم بالآيات الدالات على صدق رسالاتهم .. فما كان من الأنبياء
الا أن لجأوا الى الله سبحانه ، يطلبون منه أن يؤيدهم بالآيات من عنده ،
فاستجاب لهم ربهم ، وأظهر على أيديهم من المعجزات ما يشهد لهم
بصدق دعوتهم ..

« وتحدى الأنبياء أقوامهم أن يأتوا بمثل ما أتى الله به على
أيديهم من خوارق العادات ، فعجزوا كل العجز .. وكان نتيجة ذلك
أن آمن بهم العقلاء ، واستمر مشبثا بالكفر الحمقى من الجهلاء
والسفهاء !!

« وشاءت حكمة الله تعالى .. أن تكون معجزة كل نبي من جنس
ما برع فيه قومه ، لتكون أبلغ فى التحدى ، وليكون العجز عن معارضتها
أبلغ فى الدلالة على كونها آية من عند الله على صدق من ظهرت على
يده من الأنبياء » (١٣) .

ومن شرط المعجزة أن تكون مبنية على الظهور والاعلان .. لأنها
حجة الأنبياء على دعوى النبوة ، فلا بد من اظهارها واعلانها صريحة
جلية أمام المكذبين الجاحدين حتى يسلموا لأنبيائهم ويدخلوا فى دينهم
.. كما يجوز أن تقع بجميع خوارق العادات .. مهما بدت هذه الخوارق
غريبة ومستبعدة ..

ومن أدلتها فى القرآن الكريم .. قوله تعالى عن موسى
عليه السلام : « فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبین • ونزع يده فاذا
هى بيضاء للناظرين » (١٤) .

(١٢) الوحى والقرآن الكريم ، للشيخ محمد حسين الذهبى ، ص ٢٠

(١٣) المرجع السابق ، ص ٢١ (١٤) الأعراف : ١٠٧ ، ١٠٨

وقوله على لسان عيسى ابن مريم عليه السلام : « ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئكم باية من ربكم ، انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ، وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيى الموتى باذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم » (١٥) .

وقوله عن الرسول الخاتم ﷺ : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا ، انه هو السميع البصير » (١٦) .

ولقد كان القرآن الكريم .. هو المعجزة الكبرى الخالدة والباقية الى يوم القيامة لنبينا ﷺ .. يقول تعالى : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (١٧) .

● أما الكرامة .. فهى أمر خارق للعادة أيضا — بيد أنه غير مقرون بدعوى النبوة — يظهره الله تعالى على يد عبد صالح ، متحل بهدى النبى ﷺ ، عامل بأحكام الشريعة المطهرة ومتأدب بأدابها فى اعتقاده وقوله وعمله .. وهى — شأنها شأن المعجزة — ثابتة عند جماهير العلماء خلفا وسلفا ..

ولا يشترط فى الكرامة الظهور والاعلان .. لأنها مبنية على الاخفاء والاسرار ، وما يظهر منها لا يكون عن قصد للمولى أو ادعاء منه للكرامة .. فكثيرا ما تظهر الكرامة على يد ولى فيشعر بها من حوله دون أن يشعر هو بها .. ولو أن وليا ادعى لنفسه الكرامة على الله حتى انه ليطلب منه الأمر الخارق للعادة فيجيب اليه ، لخرج من عداد الأولياء ، ولعد فى زمرة الأفاكين الأدعياء ..

كما أن الكرامة .. تختص ببعض خوارق العادات دون بعض ..

(١٦) الاسراء : ١

(١٥) آل عمران : ٤٩

(١٧) الاسراء : ٨٨

فهي تتعلق - عادة - بالخوارق التي لا تبلغ حد المعجزة من الغرابة والاستبعاد ..

ويقول القشيري : « ظهور الكرامات على الأولياء جائز .. والدليل على جوازه أنه أمر موهوم حدوثه في العقل ، لا يؤدي حصوله الى رفع أصل من الأصول .. فواجب وصفه سبحانه بالقدرة على ايجاده .. واذا وجب كونه مقدورا لله سبحانه فلا شيء يمنع جواز حصوله .. » وظهور الكرامات .. علامة صدق من ظهرت عليه في أحواله .. فمن لم يكن صادقا فظهور مثلها عليه لا يجوز .. والذي يدل عليه أن تعريف القديم سبحانه أيانا حتى نفرق بين من كان صادقا في أحواله وبين من هو مبطل من طريق الاستدلال أمر موهوم .. ولا يكون ذلك الا باختصاص الولي بما لا يوجد مع المفتري في دعواه .. وذلك الأمر هو الكرامة التي أشرنا اليها ..

ولابد أن تكون هذه الكرامة فعلا ناقضا للعادة في أيام التكليف .. ظاهرا على موصوف بالولاية في معنى تصديقه في حاله « (١٨) .
ومن أدلة الكرامة .. ما ذكره الله تعالى في شأن مريم ابنة عمران .. قال تعالى : « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال يا مريم أنى لك هذا ، قالت هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب » (١٩) .

يقول الامام القرطبي : كان يجد عندها غاكة الشتاء في القبط ، وفاكة القبط في الشتاء ..

ويقول جل شأنه : « وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا . فكلى واشربى وقرى عينا » (٢٠) .

قيل : كان جذع النخلة يابساً .. وقيل : كانت نخلة مثمرة .. والصحيح : أن النخلة لم تكن مثمرة اذ ذاك .. لأن ميلاد المسيح عليه السلام كان في زمن الشتاء ، وليس ذاك وقت ثمر النخل .. ويفهم

(١٨) الرسالة القشيرية ، مرجع سابق ، ص ١٥٨

(٢٠) مريم : ٢٥ ، ٢٦

(١٩) آل عمران : ٣٧

ذلك من قوله تعالى على سبيل الامتنان : « تساقط عليك رطبا جنيا » ..
ومن الأدلة على وقوع الكرامة .. ما أكرم الله تعالى به أبا بكر
الصديق رضى الله عنه .. من تكثير طعامه أمام أضيافه حتى أكلوا
جميعا على كثرتهم .. وبقي الطعام أكثر مما كان ..

ومنها ما أكرم به عمر بن الخطاب رضى الله عنه بتحقيق كل
ما ألهمه وظنه ..

ومنها ما أكرم به سعيد بن زيد رضى الله عنه .. حين استجاب
دعاه على أروى بنت أوس ، لما ادعت عليه أمام مروان بن الحكم
زورا فى أرض ادعت أنه اغتصبها ..

ومن الأدلة .. ما أكرم الله تعالى به جريجا العابد بنطق الطفل
الرضيع ، وتبرئته من جريمة الزنا ..
ومنها .. ما أكرم الله به الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة
حين توسلوا اليه بأعمالهم الصالحة .. الخ .

ولا يمنع العقل امكان حدوث المعجزة أو الكرامة .. ما دام الذى
يجريهما هو الله تعالى على أيدي أنبيائه وأوليائه .. بل ان من ينكر
المعجزة للنبي ، والكرامة للولى يعد كافرا والعياذ بالله ..
* * *

● ويقول فضيلة الشيخ محمد الغزالي (٢١) : « ... والعقل يقول
انه لا بد لحدوث الأسباب من مسببات .. ولكن بعض الناس قالوا
بضعف الصلة وانقطاعها بين الأسباب والمسببات ..
فقد توجد النار ولا يوجد الاحراق .. وقد يوجد الماء ولا يوجد
الرى .. وقد توجد السكنى ولا يوجد القطع ..
وأن الواجبات العادية قد تتخلف ..
وأن قانون السببية على الاجمال .. غير ملزم ولا مطرد ..

(٢١) فى كتابه : الدعوة الاسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر ،
نشر مكتبة وهبة ، ١٩٨٥ ، ص ٧٠ ، ٧١ بتصرف .

والذين نادوا بهذا الرأي - من علماء الكلام - أرادوا به الرد على بعض الفلاسفة الإغريقية التي تجعل الأسباب خالقة •• وتنسب إلى الطبائع ما يقع هنا وهناك •• واليونانيون يقولون بأن الطبيعة تخلق ، وأن السبب - من ذاته - يفعل ، كلام لا وزن له ولا دليل عليه •• غير أن الرد على هذه الأفكار لا يكون بنفى ما أودع الله في الأشياء من الخواص ، وما ناطه بها من الآثار •• فان الأسباب - بقدر الله فيها - تؤتي نتائجها حتما ••

أما خوارق العادات •• فلها شأن آخر وتعليلات فوق المعارف المعتادة •• وهي - اذا صدقت - شذوذ يؤكد القاعدة ولا يمسحها •• ولهذا رأينا - خصوصا في القرون المتأخرة - من يجعل الدنيا لا تضبطها قاعدة ولا يحكمها قانون ••

ومن المقبول شرعا - عندهم - أن يتزوج رجل في المشرق بامرأة في المغرب ، وأن تلد منه على بعد الشقة •• لأنه قد يكون من أهل الخطوة (!!) •• أي ربما انتقل من المحيط الهندي إلى الأطلسي في لحظة ما من ليل أو نهار !!

وهذا التصور المخبول - كما يقول الشيخ الغزالي - لا ينضج معه علم ولا يصح فيه بحث ، ولا يملك أصحابه الأدوات التي يحققون بها نجاحا عمليا في هذه الحياة ••

والمقرر في العلوم الكونية والتجريبية والانسانية وغيرها •• أن قانون السببية محترم وأن رفضه جنون •• والغريب - كما يقرر فضيلته - أن كتابات دينية كثيرة ، جعلت الولاية مقرونة بخرق العادة !!

ولما كان في كل قرية شيخ مشهور بالصلاح ، ولما كان لا يخلو زمان من هؤلاء الأسيخ العظام !! ، ولما كان خرق العادة يقع منهم أحياء وأمواتا ، بطريقة يعتبر انكارها - في زعمهم - جرما •• لما كان ذلك كذلك •• فان سريان الخوارق زحم العالم الاسلامي ، وجعل قانون السببية لغوا !!

وكان لذلك •• أثر محزن فى انهيار حضارتنا ، واختلال ثقافتنا ••
وقد تدارك العلماء هذا العوج •• وألّفوا الرسائل فى دعم قانون
السببية وضرورة احترامه •• والشئ الذى نقف عنده قليلاً ••
هو هوس بعض الكاتّيبين فى اثبات الولايات وخوارقها •• وكأن الرسالة
الاسلامية ما جاءت الا لاثبات هذه القضية !!

والذى بدا لى - والحديث للشيخ الغزالي - أن هذا الهوس
يرجع الى التعلق بغير الله تعالى •• ودعاء المقبورين لعمل العجائب ••
فاذا قلت : رجل مات ، ما تنتظرون منه ؟ قيل : انه - حيا أو ميتاً -
يفعل بقدر الله ، فالتعلق به لا ينكر !!
فاذا اعترضت •• جاء الاتهام السريع : أنتكر كرامات الأولياء ؟ !

● ويقول صاحب « الفتاوى الأمانية » فى حديثه عن الكرامة :
« ••• ولا مانع أن يكرم الله تعالى الولي بأنواع من الكرامات ••
ويخصه بما يشاء من الفضائل والخيرات •• فيتولاه بحفظه ، ويجرى
الخير على يديه ، ويجيب دعاءه ، ويشفى الله بدعائه المرضى ، ويبارك
فيما يضع فيه يده من طعام أو شراب ••

وبذلك •• يعلم بطلان ما يتحدث به جهلة المتصوفة وخدمة
الأضرحة ، من الأباطيل والخرافات التى أغروا بها العامة ، وألهوهم
عن العمل بدين الله ، ليملأوا بطونهم من صناديق النذور الباطلة ••
ويستبيحوا لأنفسهم فرض العوائد على من يخدع بباطلهم ويقع
فى فخهم !!

ومن ذلك قولهم : ان الشيخ فلاناً من الأبدال ، وأن له أربعين
جسماً ، فلا لوم عليه اذا ارتكب الكبائر وترك الفرائض !!

وقولهم : ان الشيخ من أهل الحقيقة •• فيكفيه ما له من الكرامات
عن العمل بأحكام الشريعة !! ••

وغير ذلك كثير من الأباطيل التى يقصد منها الارتفاق وكسب العيش
من طريق سهل ••

ومنه يعلم .. أنه ليس من الكرامة فى شىء ما يظهره الحوارة
والسحرة والمشعوذون من الأمور الخارقة للعادة .. فان ذلك ليس من
الدين ؛ والدين منه براء ..

والطامة الكبرى — كما يقول الشيخ أمين محمود خطاب — اعتقاد
كثير ممن ينتسبون للعلم فيهم والتبرك بهم ، معتقدين فيهم الولاية ..
نعوذ بالله من العمى والضلال .. ونسأله تعالى السلامة
والوقاية « (٢٢) » .

* * *

● ونقول : الولى — اذن — هو العبد الصالح المتعلى بهدى
النبي ﷺ ، والذي يعمل بأحكام الشريعة المطهرة .. ويتأدب بأدابها
فى اعتقاده وقوله وعمله .. فيعمل بما أمر الله به ، وينتهى عما نهى
عنه ، وهو الذى يوالى الله بالمراقبة ، فيوالىه تعالى بالرعاية والحيطة ..
والمعجزة .. هى أمر خارق للعادة ، يظهره الله تعالى على يد نبي
من أنبيائه تأييدا لنبوته ، ويعجز البشر عن أن يأتوا بمثله ..

والكرامة .. هى أمر خارق للعادة أيضا .. غير أنه غير مقرون
بدعوى النبوة ، ويظهره الله تعالى على يد عبد صالح .. متحل بهدى
النبي ﷺ .. عامل بأحكام الشريعة المطهرة ومتأدب بأدابها فى اعتقاده ،
وقوله ، وعمله .. ولا يشترط فيها الظهور كالمعجزة .. بل ان الولى
الحقيقى يستحى من اظهار الكرامة ، كما تستحى العذراء من ظهور
حيضها .. وهو القول الذى سبق أن سسقناه فى تعريف الولاية
والكرامة والمعجزة ..

وليس من الولاية أو الكرامة .. ما يدعيه بعض الجهال مما يحيل
العقل اماكن وقوعه : من القدرة على احياء الموتى ، أو سلب الايمان
عن المعترضين ، أو التصرف فى أمور الناس بالاحياء والاماتة ..
واحالتهم الى مسوخ أو حيوانات !!

(٢٢) الفتاوى الامينية ، للشيخ أمين محمود خطاب ، ج ١ ، ص ٢٠

ليس من الولاية أو الكرامة : المشى على الماء ، أو الطيران فى الهواء .. أو تحويل التراب الى ذهب !!

وليس من الولاية أو الكرامة : ادعاء العلم بالغيب ، أو الاطلاع على اللوح المحفوظ ، أو معرفة الأتباع والمريدين منذ كانوا فى عالم الذر .. أو الاخبار بما يقع فى مستقبل الزمان !!

ليس من الولاية أو الكرامة : نقاب الولي وتشكله .. فتارة تراه جنديا ، وتارة أسدا ، وأخرى فيلا .. ثم تنتظر اليه فتراه صبيا !!
ليس من الولاية أو الكرامة : الصلاة بغير وضوء ، أو التظاهر فى مساقى الكلاب والتمرغ فى مياول الحمير .. أو حشد الحوانيت والمتاجر بجثث الكلاب والقطط والخراف النافقة !!

وأخيرا .. ليس من الولاية أو الكرامة : التعرى للنساء عند خطبتهن ، أو مراودة النساء والمردان ، والتمليس على أردافهم ولو كانوا بحضرة آباتهم ، أو كانوا من أبناء الأمراء أو الوزراء !!

هذه المزاعم والأباطيل - وأمثالها كثير جدا (٢٢) - ليست من الولاية أو الكرامة فى شىء .. بل انها تسمى الى مفهوم الولاية والكرامة - عند الصوفية - بنفس القدر الذى تسمى به الى انتصوف نفسه !!
فلماذا ندع الحق الواضح والطريق المستقيم ، ونلجأ الى اصطناع الخرافات ، واختلاق المزاعم والأباطيل ؟ !

● عقيدة الصوفية فى الولاية والكرامة :

يزعم الصوفيون ، أن للأولياء حكومة باطنة ، يتوقف عليها نظام العالم .. ويطلقون على هذه الحكومة اسم « الديوان » !!
والقطب .. هو رأس هذه الحكومة الأعلى ، واليه رئاسة الاجتماعات التى يعقدها فى انتظام مجلس شوراه الموقر !!

(٢٢) راجع كمثال لهذه الخرافات والمزاعم : كتاب « الطيقات الكبرى » للشعرانى ، وانظر كتابنا : « من وصايا القرآن الكريم » ، ص ٤٢١ - ٤٤١ ، حيث أوردنا نماذج لهذه الأباطيل والمزاعم ..

ولا يعوق أعضاء هذا المجلس حواجز الزمان أو المكان .. وانما
يأتون من أرجاء الأرض فى لحظة ظرف ، ويعبرون البحار والجبال
والصهارى فى يسر بالغ !!

ودون ذلك القطب ، درجات مختلفة من الأولياء .. فالنقباء ثلاثة ،
والأوتاد أربعة ، والأبرار سبعة ، والأبدال أربعون ، والأخير ثلاثمائة
.. ويعرف الواحد من هؤلاء الآخر ، ولا يعمل واحد منهم الا برضا
الباقين !!

والأوتاد .. يطوفون حول الأرض جميعاً فى كل ليلة .. فان كان
هناك مكان لم تقع عليه أعينهم ، بدت فيه فى اليوم التالى شائبة
نقص .. فيخبرون القطب حتى يجعل همه الى ذلك المكان المشوب ،
فبيراً مما أصابه بفضل ذلك القطب !!

أرأيت مثل هذا الخبال ؟ !

يقول الدباغ : « الديوان يكون بغار حراء .. فيجلس الغوث خارج
الغار ، ومكة خلف كتفه الأيمن والمدينة أمام ركبته اليسرى .. وأربعة
أقطاب عن يمينه ، وهم مالكية على مذهب مالك بن أنس .. وثلاثة أقطاب
عن يساره ، واحد من كل مذهب من المذاهب الثلاثة .. والوكيل أمامه ،
ويسمى قاضى الديوان .. ومع الوكيل يتكلم الغوث !!
« والنصرف للأقطاب السبعة على أمر الغوث .. وكل واحد من
الأقطاب السبعة تحتته عدد مخصوص يتصرفون تحتته !!

« ويحضر الديوان النساء ، وصفوفهن ثلاثة .. ويحضره بعض
الكمل من الأموات ويكونون فى الصفوف مع الأحياء .. والأموات
حاضرون فى الديوان ينزلون اليه من البرزخ ، يطيرون طيرا بطيران
الروح .. وتحضره الملائكة والجن .. وبعض الأحيان يحضره النبى ،
وكلامه مع الغوث !!

« وأما ساعة الديوان .. فهى الساعة التى ولد فيها النبى ..
والأنبياء يحضرونه فى ليلة واحدة هى ليلة القدر .. فيحضره فى تلك

الليلة الأنبياء والمرسلون .. ويحضره الملائكة المقربين ..
ويحضره سيد الوجود ومعه أزواجه الطاهرات !!
« ولغة أهل الديوان هي السريانية لاختصارها ، ولأن الديوان
يحضره الأرواح والملائكة ، والسريانية هي لغتهم .. والصغير من
الأولياء يحضره بذاته !!

« وأما القطب الكبير ، فلا تحجير عليه .. فإنه يدبر على رأسه ،
فيحضره ولا يعيب عن داره .. لأن الكبير يقدر على التطور على
ما شاء من الصور ، ولكمال روحه تدبر له ان شاء ثلثمائة
وستة وستين ذاقا !!

« وقد يعيب الغوث عن الديوان فلا يحضره .. فيحصل بين أولياء
الله من أهل الديوان ما يوجب اختلافهم .. فيقع منهم التصرف الموجب
لأن يقتل بعضهم بعضا !!

« وإذا حضر سيد الوجود مع غيبة الغوث ، فإنه يحضر معه
أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن والحسين وفاطمة .. وتجلس
فاطمة مع جماعة النسوة اللاتي يحضرن الديوان !!

« وأهل الديوان اذا اجتمعوا فيه .. اتفقوا على ما يكون من ذلك
الوقت الى مثله من الغد .. فهم يتكلمون في قضاء الله تعالى في اليوم
المستقبل واليلة التي تليه .. ولهم التصرف في العوالم كلها السفلية
والعلوية ، وحتى في الحجب السبعين فهم الذين يتصرفون فيه وفي أهله ،
وفي خواطهم وما تهجس به ضمائرهم .. فلا يهجس في خاطر واحد
منهم شيء الا باذن أهل التصرف .. واذا كان هذا في عالم الرقنا
الذي فوق الحجب السبعين التي هي فوق العرش ، فما بالك بغيره من
العوالم !!

« ويكون الديوان في موضع آخر غير غار حراء مرة في العام ..
في موضع يقال له « زاوية أسا » خارج أرض سوس ، بينها وبين أرض
غرب السودان .. فيحضره أولياء السودان ويجتمعون في غير هذين
الموضعين السابقين ، لأن الأرض لا تطيقهم » (٢٤) !!

ويقول المستشرق الانجليزى « ادوارد لين »^(٢٤) : « ... ويعتقد أن سطح الكعبة مركز القطب الرئيسى ، ويفضل مركزا آخر بباب القاهرة المسمى « باب زويلة » - الذى يسميه العامة « بوابة المتولى » - لأعتقادهم أنه مركز هذا الكائن المجهول !!

« ومن وراء مصراعى الباب العظيم الذى لا يقفل أبدا ، فضاء صغير .. يقال انه مكان القطب ، ويدق المصابون بالصداع مسمارا فى الباب لفتك السحر .. كما أن المصابين بوجع الأسنان يخلعون سنا ويولوجونها فى أحد شقوق الباب !!

« وللقطب فى مصر م مراكز أخرى أقل شهرة .. أحدها فى قبر السيد البدوى ، والآخر فى مدينة المحلة .. ويعتقد أن القطب ينتقل من مكة الى القاهرة أو من مكان الى آخر فى لحظة .. ويرى الكثير من المسلمين أن الياس - ويخطنه العامة بالخضر - كان قطب زمانه .. وأنه يولى الأقطاب المتعاقبين اذ يقررون أنه لم يمت .. ويزعمون أنه شرب من عين الحياة .. ويكلف بعض الأولياء انقيام بعض الأعمال الشاقة ، ويقال لهم : « أصحاب الدرك » ..

هذا ما يقوله المستشرق الانجليزى .. الذى جاء الى مصر فى القرن التاسع عشر ، وتصفو وأخذ العهد .. ثم راح يسجل الخزي الخرافى لا على الصوفيين وحدهم .. بل على المصريين عامة .. فانظر كيف جنى التصوف على مصر وعلى الاسلام ؟ !

● والقطب عند الصوفيين .. هو أكمل انسان متمكن فى مقام الفردية ، أو الواحد الذى هو موضع نظر الله فى الأرض فى كل زمان .. وعليه تدور أحوال الخلق .. وهو يسرى فى الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح فى الجسد ، ويفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل .. وقد يسمى « الغوث » باعتبار التجاء الملهوف اليه .. والقطب عند الصوفية نوعان : أحدهما حادث أو حسى .. وهو

ما سبق الحديث عنه .. والآخر .. قديم أو معنوى .. وهو الحقيقة
المحمدية (٢٦) !!

يقول القاشانى : « وهو - أى القطب - اما قطب بالنسبة الى
ما فى عالم الشهادة من المخلوقات .. يستخلف بدلا منه عند موته من
أقرب الأبدال منه .. أو قطب بالنسبة الى جميع المخلوقات فى عالم
الغيب والشهادة ، ولا يستخلف بدلا من الأبدال ، ولا يقوم مقامه أحد
من الخلائق .. وهو قطب الأقطاب المتعاقبة فى عالم الشهادة ..
لا يسبقه قطب ، ولا يخلف آخر .. وهو الروح المصطفى المخاطب
بقوله : « لولاك لما خلقت الكون » (٢٧) !!

ويقول التيجانى : « ان حقيقة القبطانية .. هى الخلافة العظمى
عن الحق مطلقا فى جميع الوجود ، جملة وتفصيلا .. حيثما كان الرب
المأ كان هو خليفة فى تصريف الحكم وتنفيذه من كل من له عليه ألوهية
لله تعالى .. فلا يصل الى الخلق شىء كائناً ما كان من الحق الا بحكم
القطب !!

« ثم قيامه فى الوجود بروحانيته فى كل ذرة من ذرات الوجود ..
فترى الكون كله أتسباحا لا حركة لها .. وانما هو الروح القائم فيها
جملة وتفصيلا !!

« ثم تصرفه فى مراتب الأولياء .. فلا تكون مرتبة فى الوجود
للعارفين والأولياء خارجة عن ذوقه .. فهو المتصرف فى جميعها ،
والممد لأربابها .. به يرحم الوجود ، وبه يبقى الوجود .. وفى بقاء
الوجود رحمة لكل العباد .. وجوده فى الوجود حياة لروحه الكلية ،
وتنفس يمد الله به العلوية والسفلية .. ذاته مرآة مجردة ، يشهد
فيها كل قاصد مقصده » (٢٨) !!

(٢٦) هذه هى الصوفية ، للأستاذ عن الرحمن الوكيل ، ص ١٢٤

(٢٧) كشف الوجوه الضر ، للقاشانى ، ج ٢ ، ص ١٠٣

(٢٨) جواهر المعانى ، لعلى بن حرازم ، ج ٢ ، ص ٨١

ويقول : « ومما أكرم الله به قطب الأقطاب : أن يعلمه علم ما قبل وجود الكون وما وراءه ، وما لا نهاية له .. وأن يعلمه علم جميع الأسماء القائم بها نظام كل ذرة من جميع الموجودات ، وأن يخصصه بأسرار دائرة الاحاطة .. وجميع فيوضه وما احتوى عليه » (٢٩) !!

كما يقول : « قطب الأقطاب فى كل وقت لا تقع بينه وبين الرسول حجابية أصلا .. وحيثما جال رسول الله من حضرة الغيب ومن حضرة الشهادة .. الا وعين قطب الأقطاب متمدنة من النظر اليه .. لا يحتجب عنه فى كل لحظة من اللحظات » (٣٠) !!

فانظر معى وتعجب .. كيف ألهمت الصوفية ذلك القطب ، وجعلت منه ربا أكبر .. ربا يعبد ، ويخشى ، ويرهب !!
ويعاون القطب امامان ، هما منه بمنزلة الوزيرين .. أحدهما عالم الملك ، والآخر لعالم الماكوت !!

كما يعاونه الأوتاد ، والأبدال ، والنجباء ، والنقباء !!
فالأوتاد أربعة - وقيل ثلاثة - كلما مات قطب الوقت أقيم مكانه واحد منهم .. وعلمهم يفيض من قطب الأقطاب .. وان ماتوا جميعهم فسدت الأرض !!

أما الأبدال .. فهم حقيقة روحانية تجتمع اليها أرواح أهل ذلك الموطن الذى رحل عنه وليه .. وعددهم أربعون : اثنان وعشرون منهم بالشام ، وثمانية عشر بالعراق !!

والنجباء .. دون الأبدال ، ويسكنون مصر .. وعماهم أن يحملوا عن الخلق أثقالهم .. وعددهم سبعون !!
وعدد النقباء ثلاثمائة - وقيل خمسمائة - وهم الذين يستخرجون خبايا الأرض (٣١) !!

(٢٩) جواهر المعانى ، ج ٢ ص ٧٩

(٣٠) المرجع السابق ص ٦٣

(٣١) جامع الأصول فى الأولياء ، للكشمخشاني ، ص ٩٣ .

أرأيت كيف ابتدعت الخرافات الصوفية هذه المملكة للأساطير ،
وتلك الحكومة الباطنة التي زعموها •• ليستعبدوا بها الناس لما يشتهون ،
ويزرعوا في قلوبهم الخوف والرهبة لاختصاصهم لسلطانهم ؟ !

إذا كان هذا هو حال تلك المملكة الخرافية !!

وإذا كان هذا هو تخصصهم في شئون البلاد والعباد !!

فماذا أبقوا لله تعالى ؟ !

وماذا أبقوا للملائكة ورسله ، إذا كان ديوانهم يتصرف في أحوال

اناس على ذلك النحو الذي زعموه ؟ !

وأستغفر الله ، ولا قوة الا بالله : « له الخلق والأمر ، تبارك الله

رب العالمين » (٣٢) .

يقول صاحب كتاب « الصوفية في نظر الاسلام » — جزاه الله
عن الاسلام خيرا — : « قسم الصوفية الولاية لأنفسهم على أساس
الكرامات الى مراتب في الولاية •• أعلاها مرتبة « القطب » وهو كبير
القوم ، ومهبط الرحمة عندهم ، ومصدر البركات •• ولا يتعدد صاحبها
حتى يخلفه غيره !!

« ويأى ذلك رتبة « الامامة » وتكون لاثنتين عن يمين القطب

وشماله بمنزلة الوزراء منه !!

« وتليهم درجة « الأبدال » السبعة !!

« ومن بعدها •• مرتبة « الأنجاب » الاثنا عشر !!

« ••• وأخيرا •• مقام « الشيوخ » الأربعين !!

« ويحكى الصوفية •• أن هؤلاء يعتقدون الجلسات الروحية ليلة

الأربعاء من كل أسبوع ، فتعرض عليهم فيها أمور الناس وأحوالهم ،

فيقسمون فيها الحظوظ والأرزاق ، ويكتبون المواليد والموفيات ، ويهبون

لمحببهم وزائري قبورهم العافية والبركة والنجاح ، ويقدررون العقوبات

والمناصحات على العصاة والمذنبين والمعترضين !!

« يقضون في هذا كله •• ثم يبعثون بقرارتهم الى « الخلفاء »

و « النقباء » •• فيخبرون بها الناس !!

« ويقسم الصوفية الديار الى مناطق نفوذ ودوائر اختصاص للأولياء .. فمن مكان كذا الى مكان كذا ، يقع في دائرة الولي فلان .. ومن حدود كذا الى حدود كذا في دائرة فلان .. فلا يايق أن يتقدم سائل — تليل الذوق — برجاء الى البدوي بطنطا اذا كان بحكم مولده وانماته يقع في دائرة الدسوقي بدسوق .. وتبس على ذلك !!

« وتقام لهؤلاء المغبورين الموالد في المواسم المعينة من كل عام .. فيلتنقى في محيطها خلق كثير .. ويولم الصوفية هذه الموالد على حب أصحابها وينحرون المواشى نذورا لأربابها .. ويرجعون منها بالأموال الوفيرة التي ينزعونها من أقوات الفقراء وحلى النساء ، مقابل السماح لهؤلاء الأذلاء المستضعفين بالنوم في سرادقاتهم ، وحضور مجالس الذكر التي تكتب فيها الاستغاثات بماء الزعفران والورد .. يتفضل بها الشمسيوخ على من حولهم زاعمين لهم أن توجيه هذه الاستغاثات الى من في القبور والأضرحة هو أقرب الطرق ليرفعوا الضر عن أنفسهم ، ويكسفوا الكرب والبلاء ، ويستنزوا البركة ويستمدوا المال والولد ، ويدفعوا عن حقولهم آفات الزرع ، ويكيدوا لخصومهم وسارقى ماشيتهم ، ويقتصوا من أعدائهم في أبنائهم وأموالهم .. الخ « (٣٣) .

* * *

● خاتم الأولياء :

الوجود — عند فلاسفة الصوفية — كما قدمنا : وحدة واحدة !!
والله تعالى — طبقا لنظرية وحدة الوجود — هو عين خلقه !!
والنبوة — في عقيدتهم — ليست الا تلويها للنفوس البشرية ،
وليست باصطفاء الله تعالى واختياره !!
والوحي — في تصورهم — ليس الا صورا تشرق في النفس وقت
شدة الصفاء !!

(٣٣) انظر : الصوفية في نظر الاسلام ، للأستاذ سميح عاطف الزين ،
نشر دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ص ٨٠ ، ٨١

والولاية — فى زعمهم — أفضل من النبوة لأخذها عن الله مباشرة ،
فى حين يأخذ الأنبياء عن جبريل !!

وخاتم الأولياء •• أفضل الكل ، لأن الأولياء والأنبياء يستفيدون
منه !!

يقول أبو حامد الغزالي : « العارفون بعد العروج الى سماء الحقيقة
•• انتفقوا على أنهم لم يروا فى الوجود الا الواحد الحق •• ولكن منهم
من كان له هذه الحالة عرفانا علميا [أى وصل اليها عن طريق البرهان]
ومنهم من صار له ذوقاً وحالا [أى وصل اليها عن طريق الكشف
والإلهام] وانتفت عنهم الكثرة بالكلية واستغرقوا بالفردانية المحضة ،
فلم يبق عندهم الا الله ، فسكروا سكرا وقع دونه سلطان عقولهم ••
فقال بعضهم : أنا الحق • وقال الآخر : سبحانى ، ما أعظم شأنى •
وقال الآخر : ما فى الجبة الا الله ••

« وكلام العشاق فى حال السكر يطوى ولا يحكى ! فلما خف عنهم
سكرهم وردوا الى سلطان العقل عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد ••
بل يشبه الاتحاد ، مثل قول العاشق فى حال فرط العشق :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا (٣٤)

« وتسمى هذه الحالة بالاضافة الى المستغرق فيها بلسان المجاز :
اتحادا •• وبلسان الحقيقة : توحيدا •• ووراء هذه الحقائق أسرار
لا يجوز الخوض فيها » (٣٥) !!

ويقول : « الكل من نوره ، بل هو لا هوية لغيره الا بالمجاز
[الهوية عندهم هى الحقيقة الباطنة للذات الالهية !!] فاذن لا نور
الا هو : وسائر الأنوار أنوار من الوجه الذى تليه ، لا من ذاتها ،

(٣٤) البيت للحلاج ، ويقول فى الذى يليه :

« فاذا أبصرتنى أبصرته واذا أبصرته أبصرتنا »

(٣٥) مشكاة الأنوار ، للغزالي ، ص ١٢٢

فوجه كل موجه اليه ومول شطره « فأينما تولوا فثم وجه الله » (٣٦) ..
فاذن لا اله الا هو ، فان الاله عبارة عما الوجوه مولية نحوه بالعبادة
والتأليه .. أعنى وجوه القلوب فانها الأنوار والأرواح .. بل كما لا اله
الا هو ، فلا هو الا هو .. فان هو عبارة عما اليه الاشارة ، وكيفما كان ،
فلا اشارة الا اليه .. بل كلما أشرنا ، فهو بالحقيقة اشارة اليه « (٣٧) !!
أليست هذه هي وحدة الوجود التي نادى بها ابن عربى ؟!

● ويزعمون أن الحقيقة المحمدية ، هي الذات مع التعين الأول ،
ولها الأسماء الحسنى ، وهي اسم الله الأعظم !!
والرسول ﷺ - فى تصورهم - هو الجامع بين العبودية والربوبية
الشامل للامكانية والوجوبية !!

ويقولون انه - ﷺ - يحضر كل مجلس أو مكان أراد ، بجسده
وروحه ، وأنه يتصرف ويسير حيث شاء فى أقطار الأرض وفى الملكوت ،
وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته ، فانه لم يتبدل منه شيء (٣٨) !!

وأنوار المكونات كلها - فى عقيدتهم - من عرش ، وفرش ،
وسماوات وأرض ، وجنات وحجب ، وما فوقها وما تحتها .. اذا جمعت
كلها وجدت بعضا من نوره - ﷺ - وأنه لما خلق النور المحمدى ،
جمع هذا النور جميع أرواح الأنبياء والأولياء جميعاً جمعاً أحدياً قبل
التفصيل فى الوجود العينى ، وذلك فى مرتبة العقل الأول !!

● ولما كان الله تعالى - فى عقيدتهم الزائغة - هو عين خلقه ،
فانهم يؤمنون بوحدة الأديان كلها .. سواء منها ما أنزله تعالى
وما ابتدعته الشياطين !!

اسمع الى ابن عربى وهو يحذر أتباعه من الايمان بدين خاص
فيقول : « فإياك أن تتقيد بعقد مخصوص وتكفر بما سواه فيفوتك خير
كثير ، بل يفوتك العلم بالأمر على ما هو عليه .. فكن من نفسك هبولسى
[أى القابل الذى تنطبع فيه صور المعتقدات كلها وينفعل بها] لصور

(٣٧) مشكاة الأنوار ، ص ١٢٤

(٣٦) البقرة : ١١٥

(٣٨) رماح حزب الرحيم ، للفونى ، ج ١ ، ص ٢١٩

المعتقدات كلها .. فان الله تعالى أوسع وأعظم من أن يحصره عقد دون عقد ، فالكل مصيب ، وكل مصيب مأجور ، وكل مأجور سعيد ، وكل سعيد مرضى عنه « (٣٩) !!

● ولما كان الدين - فى تصورهم - واحدا .. والوجود كله وحدة واحدة .. والرب عندهم هو العبد ، والعبد هو الرب .. فلا عذاب فى الآخرة .. ومن الذى يعقل أن يعذب الرب نفسه ؟ !
يقول ابن عربى :

فلم يبق الا صادق الوعد وحده وما لوعيد الحق عين تعالين
وان دخلوا دار الشقاء ، فانهم على لذة فيها نعيم مبين
نعيم جنان الخاد فالأمر واحد وبينهما عند التجلى تباين
يسمى عذابا من عذوبة طعمه وذلك له كالأقشر هو الأقشر صائن (٤٠)

ويعنى ابن عربى بالوعد : نعيم الآخرة ، وبالوعيد عذابها ، فهو هنا ينفى العذاب مطلقا فى الآخرة .. حتى للمشركين !!
ومن نفس المنطلق يقول الجيلى :

وأسلمت نفسى حيث أسلمنى الهوى ومالى عن حكم الحبيب تنازع
فطورا ترانى فى المساجد راعيا وانى طورا فى الكنائس راتع
اذا كنت فى حكم الشريعة عاصيا فانى فى علم الحقيقة طائع (٤١)

ولهذا نراه عندما يفسر كلمة « لا اله الا الله » .. يقول :

« يعنى : الالهية المعبودة ليست الا أنا .. فأنا الظاهر فى تلك الأوثان والأفلاك والطباع ، وفى كل ما يعبده أهل كل ملة ونحلة ، فما تلك الآلهة كلها الا أنا ، ولهذا أثبت لهم لفظ الآلهة ، وتسميته لهم بهذا اللفظ من جهة ما هم عليه فى الحقيقة .. تسمية حقيقية لا مجازية .. انه أراد أن يبين لهم أن تلك الآلهة مظاهر ، وأن حكم الألوهية فيهم حقيقة ، وأنهم ما عبدوا فى جميع ذلك الا هو ، فقال : لا اله الا أنا .. أى ما ثم من يطلق عليه اسم الاله الا وهو أنا ..

(٣٩) الفصوص ، ص ١٩١ (٤٠) الفصوص ج ١ ، ص ٩٤

(٤١) الانسان الكامل ، ج ١ ، ص ٢٢

لا اله الا أنا .. أى ما ثم الا أنا ، وكل ما أطلقوا عليه اسم الاله
فهو أنا « (٤٢) !!

- والديوان - عندهم - كما قدمنا هو الذى عليه مدار الكون ..
- والقطب .. هو أكمل انسان متمكن فى مقام الفردية ..
أو الواحد الذى هو موضع نظر الله فى الأرض فى كل زمان ، عليه تدور
أحوال الخلق .. وهو يسرى فى الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة
سريان الروح فى الجسد ، ويفيخ روح الحياة على الكون الأعلى
والأسفل ، وقد يسمى « بالغوٲ » باعتبار النجاء الملهوف اليه « (٤٣) !!
- ولهذا كان علم الأقطاب - فى زعمهم - هو علم الله تعالى ..
أكرمهم به ، فعلمهم ما قبل وجود الكون ، وما وراءه ، وما لا نهاية له ..
بل وعلمهم علم جميع الأسماء القائم بها نظام كل ذرة من جميع
الموجودات ، وخصصهم بأسرار دائرة الاحاطة وجميع فيوضه وما احتوى
عليه « (٤٤) !!

ويدعى كل منهم القطبانية لنفسه .. يقول ابن الفارض :

فبى دارت الأفلاك فاعجب لقطبها الـ محيط ، والقطب مركز نقطة
ولا قطب قبلى عن ثلاث خلفته وقبليية الأوتاد عن بدليية
ويقول الدسوقى :

نعم نشأتى فى الحب من قبل آدم
أنا كنت فى العلياء مع نور أحمد
أنا كنت فى رؤيا الذبيح فداءه
أنا كنت مع ادريس لما أتى العلا
أنا كنت مع عيسى على المهدي ناطقا
وسرى فى الأكوان من قبل نشأتى
على الدرة البيضاء فى خلويتى
بلطف عنايات وعين حقيقة
وأسكن فى الفردوس أنعم بقعة
وأعطيت داوودا حلاوة نعمة

(٤٢) الانسان الكامل ص ٦٩

(٤٣) التعريفات للجرجانى تحت مادة « قطب » ، وانظر جامع

الاصول للكشمخانى .

(٤٤) جواهر المعانى ، للفيجاني ، ص ٨١

أنا كنت مع نوح بما شهد الورى بحارارا وطوفانا على كف قدرة
أنا القطب شيخ الوقت فى كل حالة أنا العبد ابراهيم شيخ الطريقة (٤٥)

* * *

كان من اللازم أن نلم بهذه الالامة السريعة التى نستعرض فيها
فكر القوم حول : وحدة الوجود ، والحقيقة المحمدية ، وحقيقة القطب
والديوان ونحن بصدد الحديث عن خاتم الأولياء - بالرغم من أننا قد
شرحنا هذه المسائل فى مواضعها شرحا وافيا - نظرا لارتباط الموضوع
ببعضه ارتباطا وثيقا ، حيث ان المقدمات تسوق دائما الى النتائج ..
وأفكار القوم فى هذه المسائل تقودنا الى الحديث عن خاتم الأولياء ..
وفلاسفة الصوفية .. يزعمون أن الله تعالى قد أورث علم الأنبياء
للأولياء .. بل ان الأولياء - فى تصورهم - أفضل من الأنبياء ،
لأنهم يتلقون عن الله مباشرة !! والله تعالى - عند ابن عربى - تسمى
بالولى ولم يتسم بالنبى !! ، والأنبياء - عند الجيلانى - أوتوا اللقب
بينما أوتى الأولياء ما لم يؤت الأنبياء !! .. والأولياء يخوضون بحرا
وقف الأنبياء بساحله !! الخ .. الخ .
ولما كان الرسول ﷺ هو خاتم (٤٦) الأنبياء .. فلا بد - فى
عرفهم - أن يكون للأولياء خاتم (٤٦) !!

ومن هنا ابتدعوا خرافة « خاتم الأولياء » وراح كل منهم يزعم
أنه ذلك الولى الخاتم !! فهذا الدسوقى يزعم أن الرسول ﷺ قال له :
« يا ابراهيم ، أنت نقيب على الأولياء » !! ويزعم ابن عربى - فى
الفتوحات - أنه أقيم له حفل كبير - فى رؤيا رآها أثناء نومه -
وأنه قد نصب له فيه كرسى بين يدى الله تعالى .. ومن حوله وقف
عظماء الملائكة والأنبياء .. ثم نصب فى ذلك الحفل خاتما للأولياء ..
ويقول : « لم يكن الحق - أى الله تعالى - أوقفنى على ما سطره لى من
توقيع ولايتى أمور العالم ، حتى أعلمنى بأنى خاتم الولاية المحمدية » !!
.. ويعبر رؤيائه تلك بقوله : « ثم عبرت الرؤيا باختتام الولاية بى » !!

(٤٥) الطبقات الكبرى للشعرانى ، ج ١ ، ص ١٨٢

(٤٦) بفتح التاء فى الموضعين ..

وادعت النيجانية لشيخها - أحمد التيجاني - أنه هو الولي الخاتم .. يقول عمر بن سعيد الفونى - أحد أتباعه : « الفصل السادس والثلاثون فى ذكر فضل شيخنا ، وبيان أنه خاتم الأولياء ، وامام الصديقين ، ممد الأقطاب والأغواث » (٤٧) !!
فما هى أسطورة « خاتم الأولياء » التى راح كل منهم يدعيها لنفسه ؟ !

ابتدع هذه الخرافة الحكيم الترمذى (ت ٣٢٠ هـ) .. فقد كان أول من عقد المقارنة بين النبوة والولاية .. مستوحيا فيها معارفه فى علوم الفلسفة ومسائل اللاهوت .. فأوقف بهذه البدعة الولاية بجوار النبوة وجعلها مساوية لها ان لم ترد عليها !!

يقول السلمى عن الترمذى - مبتدع هذه الخرافة - : « نفوه من ترمذ ، وشهدوا عليه بالكفر بسبب تصنيفه كتاب « ختم الولاية » .. كما يقول : « انه يقول ان للأولياء خاتما .. كما ان للأنبياء خاتما ، وأنه يفضل الولاية على النبوة » (٤٨) !!

ويقول عنه ابن تيمية : « فى كلامه من الخطأ ما يجب رده .. ومن أشنعها ما ذكره فى ختم الولاية مثل دعواه فيه أنه يكون فى المتأخرين من درجته عند الله أعظم من درجة أبى بكر وعمر وغيرهما .. ومنها ما ادعاه من خاتم الأولياء الذى يكون فى آخر الزمان ، وتفضيله وتقدمه على من تقدم من الأولياء .. وأنه يكون معهم كخاتم الأنبياء مع الأنبياء » (٤٩) !!

ويغالى ابن عربى فى ترديد هذه الخرافة .. فيزعم أن الرسل لا يستمدون علومهم الا من خاتم الأولياء .. وهذا يستلزم تفضيل الولي الخاتم على الرسل بعامة .. فيقول :
« وليس هذا العام [أى علم وحدة الوجود] الا لخاتم الرسل

(٤٧) رماح حزب الرحيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٥

(٤٨) مفتاح السعادة ، لطاش كبرى زاده ، ج ٢ ص ١٧٠

(٤٩) رسالة حقيقة مذهب الاتحاديين ، لابن تيمية ص ٧٩

وخاتم الأولياء .. وما يراه أحد من الأنبياء أو الرسل الا من مشكاة الرسول الخاتم ، ولا يراه أحد من الأولياء الا من مشكاة الولي الخاتم .. حتى أن الرسل لا يرونه - متى رأوه - الا من مشكاة خاتم الأولياء ، فان الرسل والأنبوة - أعنى نبوة التشريع - تنقطعان .. والولاية لا تنقطع أبدا ، فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه الا من مشكاة خاتم الولاية» (٥٠) !!

بل انه يفضل خاتم الأولياء على النبي الخاتم - ﷺ - نفسه !! فيقول : « ولما مثل النبي ﷺ النبوة بالحائط من اللبن ، وقد كمل سوى موضع لبنة .. فكان ﷺ تلك اللبنة .. غير أنه ﷺ لا يراها الا كما قال : « لبنة واحدة » .. أما خاتم الأولياء ، فلا بد له من هذه الرؤية ، فيرى ما مثل به رسول الله ، ويرى في الحائط موضع لبنتين .. فلا بد أنه يرى نفسه تتطبع في موضع تينك اللبنتين ، فيكمل الحائط .. كما هو آخذ عن الله في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه .. لأنه يرى الأمر على ما هو عليه .. فانه آخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به الى الرسول» (٥١) !!

كما يقول : « وفينا من يأخذه عن الله ، فيكون خليفة عن الله بعين ذلك الحكم » (٥٢) !!

وهكذا ترى أن ابن عربي يفضل خاتم الأولياء على خاتم الرسل والأنبياء .. بأن خاتم الأولياء يأخذ عن الله مباشرة ، بينما خاتم الأنبياء يأخذ عن الله بواسطة الملك .. كما أن الدين قد تم على يد خاتم الأولياء ، وليس خاتم الأنبياء !!

وابن عربي حين يبتدع هذه الخرافة ، يشير الى الحديث الصحيح الذي يمثل فيه الرسول ﷺ ما بعث به هو والأنبياء من قبله ببيت كانت تنقصه لبنة ، وأنه ﷺ هو الذي جاء بهذه اللبنة ، يعنى أنه هو الذي أتم الله به على المسلمين دينهم ..

ولكن ابن عربي .. يزعم هنا أن الدين كان ناقصاً لبنتين ، لا لبنة

(٥٠) النصوص ج ١ ، ص ٦٢ (٥١) المرجع السابق ص ٦٣

(٥٢) نفس المرجع ص ١٦٣

واحدة •• فأتى الرسول ﷺ بواحدة ، وأتى خاتم الأولياء بها وبلبنة أخرى ، فلم يكمل الدين الا على يد خاتم الأولياء !!

ويدحض الله افكهم بقوله : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً » (٥٢) •

لقد أكمل الله الدين وأتم النعمة ببعثة رسوله محمد بن عبد الله ﷺ — خاتم الأنبياء والمرسلين ليكون هاديا لنا وبشيرا ••

لقد حسم الله القضية ، ووضع لنا المنهاج ، وأخذ علينا الميثاق يوم أن طلب منا : « ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله » (٥٤) •

لقد أكمل الله الدين وأتم النعمة قبل أن يوجد الحكيم الترمذى ، ومحیی الدين بن عربی بمئات السنين •• فلماذا يتدعان ديننا جديداً لم يقل به اليهود أو النصارى وغيرهم من أهل الملل والأديان السماوية أو الوضعية ؟!

يقول ابن تيمية حين ينبرى لدحض مزاعم الترمذى وابن عربى : « ثم ان هذا خاتم الأولياء صار مرتبة موهومة لا حقيقة لها •• وصار يدعيها لنفسه أو لشيخه طوائف •• وقد ادعاها غير واحد ، ولم يدعيها الا من كان فى كلامه من الباطل ما لم تنقله اليهود ولا النصارى •• كما ادعاها صاحب الفصوص » (٥٥) ••

ذلك لأنهم : « بنوا الأمر على أن الولي يأخذ عن الله بلا واسطة ، والنبي يأخذ بواسطة الملك •• فلهذا صار خاتم الأولياء أفضل عندهم من هذه الجهة » (٥٦) !!

فلا عجب — اذن — وهذا حال خاتم الأولياء •• أن يدعى كل منهم لنفسه هذا المنصب الخطير !!

* * *

(٥٤) آل عمران : ٦٤

(٥٣) المائدة : ٣

(٥٥) حقيقة مذهب الاتحاديين ، لابن تيمية ، ص ٦٣

(٥٦) المرجع السابق ، ص ٦٤

● كرامات .. أم خرافات ؟ !

قلنا : ان الكرامة هي أمر خارق للعادة — شأنها شأن المعجزة — غير أنها ليست مقرونة بدعوى النبوة ، وأن الله تعالى يظهرها على يد عبد صالح ، متحل بهدى النبي ﷺ ، عامل بأحكام الشريعة المطهرة ، ومتأدب بأدابها في اعتقاده وقوله وعمله ..

وذكرنا أن الكرامة ثابتة عند جماهير العلماء خلفاً وسلفاً ..
ولكن ما هي الكرامة في تصور الصوفية ؟ !

يقول صاحب « الصوفية في نظر الاسلام » : « لقد كانت المعجزات حقيقة مسلما بها في حق الرسل .. فلا ضرورة لأمثالها ونظائرهما في حق مدعى الصلاح من الصوفية !!

« ولو كانت الكرامات دليل صلاح وتقوى — كما يقولون — لكان الصحابة والتابعون لهم باحسان أحق من هؤلاء المتمشيخين المتأخرين الذين تنسب اليهم الكرامات بغير حساب ..

« ولقد حار الصوفية في دفع هذا الاعتراض حتى لم يجدوا آخر الأمر بدأ من اختراع بعض الكرامات ينسبونها الى هؤلاء الأطهار .. ليتناقلها الناس عنهم .. وفاتهم أن حياة الصحابة والتابعين قد تركت بالجهاد والشهادة ، وليس بعدها مرتبة في الولاية والكرامة .. وليست بطولتهم الصادقة بحاجة الى أن يلصق بها شيء من الالتواء في الوسائل لرفع أقدارهم .. أو الكرامة بشيء غير الاسلام ..

« أما شيوخ التصوف .. فليس لهم شيء يفخرون به غير ادعاء الكرامات .. فإذا انتزعتها عنهم ، فماذا أبقيت لهم ؟

« ولذلك يحرص أتباع التصوف على المدفاع عن كرامات الأسيخ .. وهذا تاريخ الصوفية ليس فيه حديث رجل منهم قام لينقذ أمته من عار الاستعمار ، مع أن أتباعه يعدون بالألوف — بل مئات الألوف — ولا يعوزهم المال !!

« وهذه التعاليم .. هل تجد فيها دعوة الى الرشد ، أو ثورة على الضعف .. أو نزعة الى العمل ؟ »
« ثم ماذا يفيد المسلمين أن تتننت عقولهم بحكاية احياء البدوى للموتى .. أو مقدره الشاذلى على احالة التراب تبرا ؟ ! »
« ان هذا الحديث .. قد يهيج أناسا أغنوا أفهامهم دون الحق بحكم ما ورثوه اضطرارا من تقاليد لم يعنوا بامتحانها » (٥٧) ..
ثم يقول — جزاء الله خيرا : « عمد بعض الصوفيين الى الظهور بالخوارق فى الأوساط الاسلامية تحت ستار « الولاية » .. وقالوا : لا تتحقق ولاية بغير كرامة .. ثم قالوا : ان اكرامة نتيجة للعمل بالكتاب والسنة ، وأمانة صدق على صحة السلوك !!
« ومعنى الولاية فى كمالها — عند الصوفية — تسخير قوى الكون للولى بقوة روحانية .. فلا يمتنع عليه عسير ، ولا يستحيل أمام ارادته أمر .. حتى يقول للنساء : كن فيكون !!
« أما مظاهر الولاية .. فتكون فى قذارة الثياب ، واطالة الشعر ، ولباس الخرقة والمرشعة ، والتشرد فى الأرض ، وذهول الولى عن نفسه ، وفساد عقله ونكران وجوده !!
« ولقد غالى الصوفية فى انتحال الكرامات حتى نسبوا الى أشياءهم احياء الموتى ، ورؤية الاله .. فكان هذا من الأسباب التى حملت المسلمين الأولين على القيام فى وجه الصوفية وتكفيرهم ..
« ثم أتى على الناس حين من الدهر .. تراخى فيه العلماء عن قول الحق ايثارا لرضاء الناس على رضا الله .. فراجت دعوى الكرامة حتى أصبح الناس لا يفهمون الاسلام بغير الخوارق .. وأصبح الرجل فى بلادنا يروى خاشعا عشرات الكرامات لكل شيخ يلقتها أبناءه وأحباءه .. ويدعوهم بعد ذلك الى التقرب الى الله بزيارة قبر الشيخ .. والتوسل اليه فى قبره أن يشملهم بنظره ، وأن يمددهم بمدده » (٥٨) !!

* * *

(٥٧) الصوفية فى نظر الاسلام ، مرجع سابق ص ٨١

(٥٨) المرجع السابق ص ٧٩ ، ٨٠

يقول أبو يزيد البسطامي : « لو أن العرش ، وما حواه مائة ألف مرة ألف مرة فى زاوية من زوايا قلب العارف ، لما أحس به •• فقلب العبد الخصوصى بيت الله ، وموضع نظره ، ومعدن علومه ، وحضرة أسرارهِ ، ومهبط ملائكته ، وخزانة أنواره ، وكعبته المتصودة ، وعرفاته المشهودة » (٥٩) !!

أى أن قلب الصوفى أوسع من عرش الله !!
ويقول الدباغ : « أنى أرى السموات السبع ، والأرضين السبع والعرش ، داخلة وسط ذاتى •• وكذا ما فوق العرش فى السبعين حجابا » (٦٠) ••

الملكوت كله •• والسموات السبع ، والأرضين السبع ، والعرش وما فوقه فى بطن الدباغ !!

ويدعى الدباغ •• أن معجزات الرسل إنما هى بعض كرامات الصوفية •• يقول : « كل ما أعطيه سليمان فى ملكه ، وما سخر لداوود ، وما أكرم به عيسى •• أعطاه الله وزيادة لأهل التصرف من أمة النبى ، ومكنهم من القدرة على إبراء الأكمه والأبرص ، وإحياء الموتى » (٦١) !!

ويزعم الدسوقى أن الجنة والنار بيديه •• فيقول : « أنا بيدي أبواب النار أغلقتها ، وبيدي جنة الفردوس فتحتها •• من زارنى أسكنته جنة الفردوس ، وما كان ولى متصلا بالله الا وهو ينجى ربه كما كان موسى ينجى ربه » (٦٢) !!

بل ويزعم التيجانى أنه يضمّن الجنة لمن يطعمه •• فيقول : « أخبرنى سيد الوجود يفضة - لا مناما - : كل من أحسن اليك بخدمة أو غيرها ، وكل من أطعمك يدخلون الجنة بلا حساب ولا عقاب •• فسألته لكل من أحبنى ولكل من أحسن لى بشىء من مثقال ذرة ، ومن أطعمنى طعامه كلهم يدخلون الجنة بلا حساب ولا عقاب •• وسألته

(٥٩) الفصوص ، لابن عربى ، ص ١٤١

(٦٠) الأبريز ، للدباغ ، ج ٢ ص ٧٣

(٦١) المرجع السابق ص ١٢

(٦٢) انظر الطبقات الكبرى للشعرانى فى ترجمته للدسوقى .

لكل من أخذ عني ذكراً أن تغفر لهم جميع ذنوبهم ما تقدم منها وما تأخر ،
وأن يرفع الله عنهم محاسبته على كل شيء ، وأن يكونوا آمنين من عذاب
الله من الموت الى دخول الجنة •• وأن يكونوا كلهم معي في عليين في
جوار النبي •• فتقال لى ﷺ : ضمننت لهم هذا ، ضمانه لا تتقطع ،
حتى تجاورني أذنت وهم في عليين « (٦٣) !!

وأولياء الصوفية •• أعطاهم الله - في زعمهم - طي الأرض ،
والمشي على الهواء •• ومنحهم كنوز الأرض فانقابت لهم الأعيان ••
اقرأ معي «قوت القلوب» لأبي طالب المكي •• حيث يتحدث أحد أقطابهم
عما أنعم عليه به ربه فيقول : « أدخلني في الفلك الأسفل ، فدورني
في الملكوت السفلى •• فأراني الأرضين وما تحتها الى الثرى ••
ثم أدخلني في الملك العلوى فطوف بي في السموات ، وأراني ما فيها
من الجنان الى العرش •• ثم أوقفني بين يديه فقال لى : سلني أى
شئ رأيت حتى أهبه لك •• فقلت : ياسيدي ، ما رأيت شيئاً أستحسنه
فأسألك إياه « (٦٤) !!

أرأيت لهذا الصوفى الذى يدخله الله في الفلك الأسفل ، ويدوره
في ملكوته ، ويريه الأرضين وما تحتها الى الثرى •• ثم يدخله في الفلك
العلوى ويطوف به في السموات •• ويريه جناته وكل ما فيها الى
العرش •• ومع هذا لا يستحسن شيئاً من كل ذلك •• حتى عرش
الله لم يستحسنه !! •• ولهذا نراه يزعم أن الله قال له بعد أن قال
قولته : « أنت عبدى حقاً » !! •• ياللوفاحة !!

ويروى لنا الجبرتى •• أن على بن حجازى البيومى ، رأى الشيخ
الدمرداش في السماء ، وأنه قال له : لا تخف في الدنيا ولا في الآخرة
•• وأنه كان يزعم رؤيته للنبي ﷺ في خلوته •• وسمعه يقول لأبى بكر
رضى الله عنه : اسع بنا نطل على زاوية الدمرداش •• وأنه دخل مرة
على السيد البدوى ورأى النبي ﷺ عنده ، فخشى أن يكون واحماً في

(٦٣) جواهر المعانى في فيض النيجانى ، لعلى حرازم ، ج ١ ، ص ٩٧

(٦٤) قوت القلوب ، لأبى طالب المكي ، ص ١٠٣

رؤية النبي ، ولكن الدمرداش الذي كان عند ضريحه قال له : مد يدك الى النبي فهو حاضر عندي « (٦٥) !!

ويزعم الصوفيون أن شيوخهم يقولون لاشيء كن فيكون .. فيقول على بن حرازم عن أحد شيوخه : « انه خليفة ، يملكه الله كلمة التكوين ، متى قال للشيء كن ، كان من حينه » (٦٦) !!

ويقول أبو السعود : « أعطاني الله التصرف منذ خمس عشرة سنة وتركناه تظرفا » ..

ويعلق ابن عربي على هذا بقوله : « وأما نحن ، فما تركناه تظرفا .. وانما تركناه لكامل المعرفة » (٦٧) !!

ويقول الدباغ : « رأيت وليا بلغ مقاما عظيما .. وهو أن يشاهد المخلوقات الناطقة والصامتة ، والوحوش والحشرات ، والسماوات ونجومها ، والأرضين وكرة العالم بأسرها تستمد منه .. ويسمع أصواتها وكلامها في لحظة واحدة .. ويمد كل واحد بما يحتاجه ويعطيه ما يصلحه من غير أن يشغله هذا عن ذلك » (٦٨) !!

أما التيجاني .. فيحدثنا عن نفسه فيقول : « روحه صلى الله عليه وسلم تمد الرسل والأنبياء .. وروحي تمد الأقطاب والعارفين من الأزل الى الأبد .. واذا جمع الله تعالى خلقه في الموقف ينادى مناد بأعلى صوته يسمعه كل من في الموقف : يا أهل المحشر ، هذا امامكم الذي كان مددكم منه .. كل ما فاض عن ذوات الأنبياء تتلقاه ذاتي ، ومنى يتفرق على جميع الخلائق » (٦٩) !!

ويصفه أحد أتباعه بقوله : « اذا توجه أغنى وأقنى ، وبلغ المنى » (٦٩) .

(٦٥) عجائب الآثار ، للجبرتي ، ج ١ ص ٢٢٠

(٦٦) انظر جواهر المعاني ج ٢ ، ص ٨

(٦٧) الفصوص ، ج ١ ، ص ١٢٩

(٦٨) الابريز ، للدباغ ج ٢ ، ص ٧٣

(٦٩) جواهر المعاني ، ج ١ ، ص ٤٦ ، ٤٧

ويصفه آخر فيقول : « لا يتلقين واحد من الأولياء فيضا من حضرة
نبي الا بواسطته » (٧٠) !!

ويقول آخر : « نفوذ بصيرته الربانية التي ظهر مشتضاها من
اظهار مضمرات ، واخبار بمغيبات ، وعلم بعواقب الحاجات ، وما يترتب
عليها من المصالح والآفات » (٧٠) !!

ويقول ابسطامي : « رفعتني - أي الله تعالى - فأقامني بين
يديه وقال لي : يا أبا يزيد ، ان خلقى يحبسون أن يروك .. فقلت :
ربني بوحدانيتك ، وألبسني أنانيتك ، وارفعني الى أحديتك .. حتى اذا
رأني خلقك قالوا : رأييناك ، لتكون أنت ذلك ، ولا أكون أنا هناك » (٧١) !!

بل ان الموتى - حسب تصورهم - لهم القدرة على التصرف في
الوجود !!

يقول الشعراني : « ان شيخى أخذ على العهد في القبة تجاه وجه
سيدي أحمد البدوي وسلمني اليه بيده .. فخرجت اليد الشريفة من
المقبر وقبضت على يدي .. قال سيدي الشناوي : يكون خاطرك عليه
واجعله تحت نظرك .. فسمعت سيدي أحمد يقول من المقبر : نعم !!

« ولما دخلت بزوجتي وهي بكر .. مكثت خمسة أشهر لم أقرب
منها .. فجاء - أي البدوي - وأخذني وهي معي ، وفرش فرشا فوق
ركن قبته ، وطبخ لي حلوى ، ودعا الأحياء والأموات اليه ، وقال :
أزل بكارتها هنا .. فكان الأمر تلك الليلة !!

« وتخلفت عن حضوري للمولد .. وكان هناك بعض الأولياء ،
فأخبرني أن سيدي أحمد البدوي كان ذلك اليوم يكتف السقر عن
الضريح ويقول : أبطأ عبد الوهاب .. ما جاء » (٧٢) !!

ويقول عن الحريشي : « تصدته في حاجة ، وأنا فوق سطوح
مدرسة أم خوند بمصر .. فرأيته خرج من قبره يمشي من دمياط الى

(٧٠) جواهر المعاني ، المرجع السابق .

(٧١) التلمع ، للطوسي ، ص ٢٨٣

(٧٢) الطبقات الكبرى ، للشعراني ، ج ٢ ص ١٣٥

أن صار بينه وبينى نحو خمسة أذرع فقال : عليك بالصبر .. ثم
اختفى « (٧٣) !!

ويعدد ابن عربى أنواع الكرامات فيقول : « ومنها سماع نطق
الجمادات على مراتب نطقها فى العوائد وخرقها » (٧٤) !!
« ومنها مكالمته للملأ الأعلى ومما حدثته لهم » (٧٥) !!

وماذا يكون سماع الجمادات أو الحديث مع الملائكة فى الملأ
الأعلى الى جانب احياء الموتى الذى يزعمه الصوفيون لأوليائهم ؟ !
فهذا أبو عبيد اليسرى يغزو ومعه دابة ، فتموت .. فيسأل الله
أن يحييها ، فاذا بها تقوم تنفض أذنيها !!
وهذا الدمامينى .. يؤتى له بفراخ مشوية ، فيقول : طيرى باذن
الله تعالى .. فتطير !!

وهذا الكيلانى .. يضع يده على عظم دجاجة بعد أن أكلها ويقول
لها : قومى باذن الله .. فتقوم !!
ويموت لأحد تلاميذ يوسف الدهمانى ولد ، فيجزع عليه ، فيقول
له الشيخ : قم باذن الله .. فيقوم ويعيش طويلا !!
ويسقط منزل من سطح الفارقى ، فيموت .. فيدعو الله
فيحييه (٧٦) !!

ويحدثنا الكوهنى عن معجزات سلامة الراضى فيقول : « حملت
احدى زوجات الاخوان .. وفى التاسع مات الجنين ، وبقي عشرة أيام
ميتا ببطن أمه .. وعند الوضع ذاك هذا الأخ شيخنا فقال : كذلك
يافلان ؟ . وبنمامه تم الوضع طبيعيا كأن لم يكن هناك وليد مات منذ
عشرة أيام !!

« وكف بصر أحد الاخوان نذاكر حضرة الأستاذ .. فقال له :
ان كتتمت الأمر أبصرت .. فرضى بالشرط فمسح على عينه ، فأبصر » !!

(٧٣) الطبقات الكبرى ، ج ٢ ص ١٥٤

(٧٤) مواقع النجوم ، لابن عربى ص ٧٥

(٧٥) المرجع السابق ص ٨١

(٧٦) الكواكب الدرية ، لعبد الرؤوف المناوى ، ص ١١

« وكان لبعض وجهاء بندر الجزيرة ابنة وحيدة أصابتها الحمى ..
وبعد شفائها خرست فلم تتكلم أبداً .. فعرضوها على الأطباء سنوات
فلم تشف .. فأحضروها لشيخنا ، ونظر إليها نظرة فسألها عن اسمها ،
فنظقت به وذهب خرسها في الحال » (٧٧) !!

إنها نفس المعجزات التي من الله بها على عيسى ابن مريم عليه
السلام ، من ابراء الأكمه والأبرص واهياء الموتى .. فماذا يكون
التحدث الى الملائكة في الملأ الأعلى أو سماع الجمادات الى جانب احياء
الموتى وبراء الأكمه والأبرص ؟ !

وأولياء الصوفية .. يتطورون الى الوحوش والحيوانات وغيرها ..
فهذا الغمري — كما يذكر الشعراني — يدخل عليه محمد بن شعيب فيراه
جالسا في الهواء وله سبع عيون !!

وهذا الشيخ أبو علي : « تدخل عليه تجده جنديا ، ثم تدخل عليه
فتجده سبعا ، ثم تدخل فتجده فيلا .. وكان يقبض من الأرض ويناول
الناس الذهب والفضة !!

ويزعم الشعراني .. أن بعض الناس تأمروا على ذلك الشيخ
المتطور الى فيل وسبع ، وأنهم قطعوه بسيوفهم وأخذوه في تليس ..
ثم أصبحوا فوجدوه حياً جالسا (٧٨) !!

ما هذا الهراء .. وما هذا الجنون والخيال ؟ !

أفذه هي الولاية والكرامة في عرف القوم ؟ !

اللهم انا نبرأ اليك من تصوراتهم الضالة للولاية والكرامة ..
فان أولياء الله أكرم عليه من أن يعرضهم الى تلك المهانات التي
يلصقونها بهم (٧٩) .

* * *

(٧٧) طبقات الشاذلية الكبرى : للحسن بن محمد الكوهني ، ص ٢٥٨

(٧٨) الطبقات الكبرى ، للشعراني ج ٢ ، ص ٨٠ ، ٨١

(٧٩) انظر كتابنا « من وصايا القرآن الكريم » نشر دار التراث العربي

ص ٤٢١ — ٤٤١ حيث تجد أمثلة كثيرة من هذه الضلالات التي يدعونها
لأوليائهم مما يعجز العقل عن تصديقه ..

● يقول فضيلة الأستاذ عبد الرحمن الوكيل : « كانت الجاهلية فى اسفافها الوثنى أقل حماقة من الصوفية .. وتدبر ما قصه الله عن الجاهلية وشركها ، تجدهم كانوا يوحدون الله فى ربوبيته توحيدا حرمت حتى من مثله قلوب الصوفية — ان كانت لهم قلوب !!

يقول تعالى : « قل لمن الأرض ومن فيها أن كنتم تعلمون • سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون • قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم • سيقولون لله ، قل أفلا تتقون • قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه أن كنتم تعلمون • سيقولون الله ، قل فأنى تسبحون » (٨٠) . هذا دين الجاهلية .. ولكن الله لعنهم لعنا كبيرا بشركهم ، لأنهم أشركوا بالله فى الهيئة ، فتضرعوا الى غيره بالدعاء ..

أما الصوفية .. فتدين بالقتلة والمجرمين ، وأوغاد الفاحشة أقطابا يتصرفون فى الوجود ، ويسيطرون بقهرهم على سنن الله الكونية ونواميس الوجود التى فطرها الله وحده ، وهو الذى يصرفها وحده ، ويتحكمون فى أقدار الله فلا ينفذ منها الا ما يشتهون !!

فأى الشركين أطغى بغيا ، وأخبث رجسا ؟ لقد وحدت الجاهلية الله فى ربوبيته ، وأشركت به فى ألوهيته .. أما الصوفية ، غنفتها عنه ، وأثبتتها للمذالك الصعاليك .. بل انحدرت حتى نفت وجود الله الحق ، ونعتته بالعدم الصرف !!

أفيمكن أن يقاس الحاد الصوفية بشرك الجاهلية ؟ ! أم ترى هذا ليلا غاسقا .. وترى الاحاد الصوفى دياجير تطغى وتتراكم وتطول ، حتى لا يعرف الأبد فيها بدايته أو منتهاه » (٨١) ؟ !

● ويحدثنا فضيلة الشيخ عبد اللطيف مشتهرى عن بدع الطرق الصوفية فيقول جزاه الله خيرا :
« من هذه البدع : اعتقاد الكمال فى المشايخ وأنهم لا يخطئون ،

(٨٠) المؤمنون : ٨٤ — ٨٩

(٨١) هذه هى الصوفية ، للأستاذ عبد الرحمن الوكيل ، ص ١٣٥

وأن من اعترض انطرد .. حتى لو كان الاعتراض على معصية شرعية ،
لأنهم حسب زعمهم ظاهرا وباطنا ، والأشياخ عندهم قد تعصى ولكن
الأرواح باقية على طاعتها ، وأن الولي يملك أربعين شخصية !!

وكل هذا من الضلال والشرك والكفر الصريح عند من يعتقد في
نفسه أو في غيره .. فكل بنى آدم خطأ ، والعصمة لرسول الله ،
والكمال المطلق لله وحده .. وكان الرسول ﷺ يقول لصحبه :
« اذا نسيت فذكروني » ..

« ومنها اعتقاد النفع والضرفى المشايخ .. وأنهم يملكون تصريف
المكون .. بل يعتقد بعض المريدين أن بعض الأولياء يخرجون بعد موتهم
من القبور لقضاء مصالح الناس بأجسامهم !! ، وينسبون ذلك لمثل
الشيخ الشرفاوى وأنه كان يذهب كل يوم من قبره لابنته ويشترى كل
شئ من السوق ثم يذهب لقبره !! .. مع أن سيد الخلق نفسه
- ﷺ - لم يفعلها قط !!

« ومن البدع قولهم « يجب على المرید أن يكون بين يدي شيخه
كالميت بين يدي المغسل يوجهه كيف يشاء » !!

وفى هذا الغاء لشخصية .. مع أن سيد الخلق - ﷺ - كان
يعلم الصحابة ويقول : « سلونى ما شئتم .. فانما أنا لكم مثل الوالد
أعلمكم » .. ويقول تعالى : « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم
لا تعلمون » (٨٢) ..

« ومن بدعهم : لبس المرقعات ، والملونات ، والعمائم الحمراء
والخضراء والسوداء .. الى آخر ما يصنعون ، وما هذه الا عينات
مما يصنعون !!

« ومنها : وضع السبحة فى العنق ، وحملها فى اليد من غير ذكر ..
بل مجرد الشهرة ولفت الأنظار !!

« ومنها : الطواف فى البلاد على المرئدين لا باسم التعليم والارشاد لأمر الدين ، ولكن لجمع تبرعات وفرض أتاوات ترهق الناس .. موهمين البسطاء أن الامتناع عن الدفع سيعرض المنزل كله للخراب — خراب الديار وقصف الأعمار — ومثلهم فى ذلك مشهور : « قطع المورايد ولا قطع العوايد » !! .. أى أن قطع المورايد والتعرض للموت أهون من قطع العادة فى الدفع للمعلوم » !!

ويقول فضيلته : « ومن مصائبهم .. تفضيل أوراد المشايخ عن كتاب الله ، فتراهم يحفظون الورد مع طوله وعرضه جيدا من كثرة تكراره .. ومعظمهم لا يحسن حفظ سورة من قصار السور !! وهذا أقصى أنواع الحرمان والخللان .. فايثار أى كلام على كلام الله شقاء وتعاسة .. »

« ومن بدعهم .. كتابة الأحجية والتعاويد ، وياليتها بالمأثورات الاسلامية .. ولكن قد يكتب فيها أسماء الجن والأصنام .. وقد تبرأ الأئمة من ادعاء العصمة ، وقال أبو يزيد البسطامى : « لو نظرتم الى رجل أعطى من الكرامات حتى طار فى الهواء ، أو مشى على الماء (٨٣) .. فلا تغتروا به حتى تنظروا اليه عند الأوامر والنواهي والحدود الشرعية » .. ومثل ذلك قال أبو القاسم الجنيد .. »

« ومنها — أى هذه البدع — : اللحن فى أسماء الله عند الذكر ، والتشويش به فى المساجد ، واللحن فى بقية الفرق كأهل النار : « كلما دخلت أمة لعنت أختها » (٨٤) .. فكل فرقة تدعى أن طريقها الصواب وغيره هو الخطأ !!

« ومنها : الرقص ، والتصفيق ، والصفارة ، والتهريج .. وقولهم : « العبرة بالقلوب » .. وقولهم : « بيض قلبك وامشى فى ظلها » .. وقولهم : « اذا زادت المحبة سقطت شروط الكلفة والأدب » !!

(٨٢) وهذا طبعا من قبيل التمثيل والمبالغة فيه ، فالعقل يحيل أن يطير انسان فى الهواء أو يمشى على الماء .. وما رأينا انسانا يفعل ذلك الا فى ادعاءاتهم ..

« ويزعمون أن المتصوف يمكنه أن يصل الى حالة يصل فيها الى الله فيسقط عنه التكليف .. مع أن الله قال لرسوله ﷺ : « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » (٨٥) .. أى الموت ..

وقال عن عيسى عليه السلام : « وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا » (٨٦) .. فكانهم يزعمون أنهم أعلى شأننا من الرسل !!

ولقد سمع الرسول ﷺ أصحابه ذات يوم فى سفر يرفعون أصواتهم بالذكر فقال : « أربعوا على أنفسكم ، فإنكم لا تدعون أصماً ولا غائباً .. ولكن تدعون سميعا بصيرا وهو معكم » .. وفى رواية : « هو أقرب اليكم من أعناق رواحلكم » ..

« والسنة : الذكر فى خفاء ، والانفراد فيه عن الخلق : « خير الذكر الخفى » .. ويقول تعالى : « واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين » (٨٧) ..

« ومن شركهم : أوامرهم لمريديهم أن يلاحظوا مشايخهم فى أثناء الذكر .. وأن يكون المريد مغمض العين ، ولكن قلبه لا يد أن يلاحظ صورة شيخه ليستمد منه المدد ومن رجال السلسلة كلهم والأقطاب والأوتاد والخلفاء والنقباء » (٨٨) ا هـ

* * *

(٨٦) مريم : ٣١

(٨٥) الحجر : ٩٩

(٨٧) الأعراف : ٢٠٥

(٨٨) هذه دعوتنا ، للشيخ عبد اللطيف مشتهرى ، نشر دار الاعتصام ،

ص ٢٣٧ - ٢٤٢ بتصرف ..